(٢)

طلب العبودية للحق
على ما تحقق به عبده
هو هدي كتاب الإحاطة معه

حديث الجمعة

٢٤ شوال ١٣٧٦ هـ - ٢٤ مايو ١٩٥٧ م

أشهد أن لا إله إلا الله.. أشهد أنه لا موجود بحق إلا الله.. أشهد أن كل الوجود دال على الموجود وهو الله.. أشهد أن الحياة في هذا الوجود من حياة الحي القيوم وهو الله.. أشهد أنه الموجود.. أشهد أنه الحياة.. أشهد أنه حاضر الحياة، وماضي الحياة، ومستقبل الحياة، وسرمدي الحياة..

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله أماته عن نفسه وعن قطيعته، وبعثه بوصلته وبانقضاء يتمه.. أشهد أن محمدا رسوله الذي أرسله رحمة للعالمين على سنن من قبله من الرسل، وعلى سنن من بعده من الأئمة والعباد..

أشهد أنه قد بلغ ما حمل إليه، وأنه قد استقام على ما أمر به، وأنه تأدب بيننا على ما أدبه ربه، وأنه أعلمنا عن الحق الكثير الوفير مما علم، وأعلمنا أن الحق لا تطاق له وطأة في أرض أو سماء، وأن الحق لا يحيط به عقل في أرض أو سماء، وأن الحق لا يلحق به فكر عند مفكر ما دام من أهل الفكر وأهل العقل وأهل التقييد والتقيد، أعلمنا عن الحق ما يليق بمثله أن يعلمنا مما عَرَفَ كما عَرَّف.

وأشهد أننا تابعناه على قلة، وعلى تفاوت في إدراك، وعلى تفاوت في استقامة، وعلى تفاوت في خلق، وأننا نسبنا أنفسنا إليه على ضلالة، وعلى وهم، وعلى زعم، وعلى كثرة. نقول بألسنتنا ما ليس في قلوبنا ونزعم أننا معه على دين، وأننا معه على كتاب، وأننا إليه على حب. وأشهد أنه منا بريء، ودينه منا بريء، وكتابه منا بريء، وسنته منا بريئة، فما أحسنا فيه قصدا، وما تأدبنا معه ومع ربه على ما يوحي به العقل - على ضعفه- وما استقمنا معهما على أمر على يسر من أمر النفس. وقد جاءنا بيسر

من الكتاب، وبيسر من التشريع، وبيسر من التكاليف، فأديناها على شكل وجانبناها على جوهر، ووهمنا وزعمنا وما حققنا وما آمنا وما سلمنا. نعيش في أوهام من ظلمة أنفسنا كأنها النور، وعلى جهل من طبيعة جهلنا على أنه العلم. ونزعم الاستقامة وتنتظرنا بوصف أهلها الندامة يوم تأتي سكرة الموت بالحق فنُجبه بما كنا منه نحيد، وما كنا عنه نحيد، وما كنا له نزعم، وما كنا له ندعي بلسان ومقال، والقلب لكل ذلك مباعد بشقوته ومنه خال. عاد الإسلام من بعد محمد غريبا كما بدأ.

إنا نريد أن نعبد الأوثان كما عُبدت على فطرة من أصولنا. ونريد أن يعبد بعضنا البعض وليتها على معنىً يُطلب، وليتها على خيال يقدر، وليتها حتى على محاولة لكشف قناع، وليتها على شك من أمر أنفسنا. إننا نريد أن نعبد بعضنا البعض بدين من وضع أوهامنا، وبعقل بعيد عما يعقل، وبزعم فهم بعيد عما يليق أن يُفهم. ويجرؤ بعضنا على البعض جرأة الخلق على الحق في نفاق وادعاء. بعضنا ممن صدق من الأغلب الأعم طليق، ليس معه على اعتقاد أو على طريق.

وإن من الناس منا من يجرؤ على الصادقين بيننا في لحظة وسوء أدب، وقلة إدراك، وانحطاط مكانة، وسفالة ذات. لا يدرك أنه إن سكت عنه في حماقته أو في جرمه، فسكوت الحليم أو سكوت المتسع أو سكوت الراجي من الله، فيزعم أنه على غفلة نفسه له مقر وعلى ظلمه لنفسه وظلمه لإخوانه، ساكت عنه عن رضا أو عن عجز. يجرؤ على كتاب الله، ويجرؤ على مناسك الله، ويجرؤ على دين الله، ويجرؤ على ما أمر به الله. يجرؤ على ما هدى به رسول الله في لحظة، يجرؤ على أصحاب رسول الله في ظلم لنفسه وفي غفلة عن الحق، ويزعم أنه أخ في الدين وأنه ابن للطريق. إن الطريق من أمثال هؤلاء براء، وإني منهم براء، والرحمن منهم بريء، ورسول الله منهم بريء، ودين الله عنهم بعيد ومنهم بريء.

يتحدثون ولا إذن لهم بحديث، ويزعمون لأنفسهم الصلة والقدسية والتقديس، ونور الله منهم بعيد، وعباد الله منهم براء، وأنا منهم بريء.

يُعرِّضون الطريق بسفاهتهم لسفاهة السفهاء ولسفاهتهم، ولمخاصمة العقلاء وجفوتهم، فهم سوء على أنفسهم، سوء على إخوانهم، سوء على دينهم.

اتسع الصدر المرة بعد المرة، والكرة بعد الكرة لمن كان من نصيبنا منهم، وأنا لا أريد أن أتعرض لإنسان من الله بقطيعة أو أن أحكم عليه بأنه منه مقطوع، أو أن أيأس معه من نور الله له أو أن أيأس له من رحمة الله معه، فيطمعون لمزيد مما هم فيه في ساحة حسن الخلق، ويزدادون في سفالتهم سفالة، ويزدادون في انحطاطهم انحطاطا على انحطاط من طبائعهم...

لا يريدون أن يفارقونا في صمت أو في ستر. وإن الله ستير ويحب من عباده الستيرين ونحن نريد أن نكون من عباده الستيرين. ولكنهم يقهروننا على أن نتحدث وأن نجعل منهم موضوع حديث، وهم أحقر من أن نتحدث عنهم، أو نجعل منهم موضوع حديث. ولكن حكمة الله، ولكن إرادة الله، ولكن قدرة الله هي التي تشغلنا، وهي التي تضطرنا، وهي التي تلزمنا أن نجعل من أمثالهم موضوع حديث لأن لهم في الناس كثير من مثال، وأنهم في الناس كثرة، وأنهم وإن كانوا بين الإخوان قلة، ولكنهم على مثالهم في عموم الناس على كثرة ...

يعيشون في أوهام، ويزعمون لأنفسهم ما يزعمون في أحلام، ولا يعرفون من الدين شيئا، ولا عن أنفسهم شيئا، ولا عن الاستقامة شيئا، ولا يعنونون عن الناس فضيلة، ولا يعنونون لأنفسهم أمام أنفسهم إلا كل رذيلة. تتوالى بين أعينهم القوارع، ويعلمون من الأمر ما يرون بأنفسهم في غيرهم، مما سبق أن قدسوا أو يقدسون، ولا يريدون أن يتعظوا، أو أن يستيقظوا، أو أن يتنبهوا، أو أن يصدقوا ما يلقى إليهم من حديث.

أنا لست ممثلا فأقول بما لا أومن به، أو كاذبا ودعيا على ما ينسب لي من فهم، أو قول، أو مسلك، غير ما أنطق به، أو أصرح به بين الإخوان، وأن الذي أقول، أو أصرح به، لا يخرج في كثير أو قليل عن كتاب الله وسنة رسول الله. وكل من يزعم من زاعمي الأخوة أنه يتكلم بعيدا عن هذا بلسان من حقيقة، فإنه يتكلم بلسان من شيطان. لا دين له، ولا إيمان له، ولا صلة له بي. فلست نبيا جئت بتشريع جديد، ولست رسولا جئت بدين جديد، ولكني مجرد مسلم متابع لدين، وأعمل بكتاب، وأؤمن بالله على ما آمن به من قبلنا ممن صدق من المسلمين. لا نأمر إلا بما أمروا - والآمر هو الله - ولا نعرف إلا ما عرفوا -والمعرِّف هو الله- ولا نعلم إلا كما علَّموا -والمعلِّم هو الله -.

إن رسول الله الذي برأ نفسه من أمته محدثة وخلف الله عليها مفوضا، بريء من كل من ينسب إلى دينه، أو ينسب إلى ذاته، أو ينسب إلى مسلم متابع له، كلاما بعيدا عن كتاب الله، أو بعيدا عن تكاليف الدين، أو بعيدا عن فقهه.

فما هذا الهراء وما هذا السخف؟ إذا كنت أصرح -وأنا صادق- أني لست شيخا ولست إماما، ولست شيئا مما تزعمون، لست إلا مسلما آمن بكتاب الله وسنة رسول الله، واستنار قلبه، واستنار عقله، واستقامت نفسه على ما أراد الله، أو على ما تحقق في نفسه، أو عقله، أو قلبه، راجيا الله، لا يدري ما يفعل الله به غدا، فكيف يزعم دعي بوصف متابع لا يرتقي لنعال الحذاء أنه يعرف عني، أو يتكلم باسمي، أو يتكلم في دين الله بفهمي، كأنه بي محيط وهو لا يدري من الدين شيئا. هذا إجرام، وهذا إثم. فلست إلا رجلا من الناس، ولست إلا مسلما من المسلمين، ولست إلا

متابعا من متابعين، يتابعهم متابعون على سنن من سبق على كتاب من هدي وعلى عقيدة من دين. فلا يليق بإنسان يوحد الله ويعلم أن لا إله إلا الله كما علَّمه رسول الله، وكما عُلِّمنا عن رسول الله، وكما نعلم من يريد أن يتعلم معنا على ما عُلِّمنا، وعلى ما عَلِمنـــا من أنه لا إله إلا الله، يزعم لنفسه أنه الحق، أو أنه الله، أو أنه وجه الله، أو أنه يد الله. {كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا}[1].

إن وحدانية الله بوعي العقل غير وحدانية الله بالسلوك وبالقيام وبالفعل. إن وحدانية الله بالسلوك لا تبدأ في سالك ما لم يدرك أمرا من وحدانية الله بوعي العقل وهو أساس التشريع الحي العامل السليم. إن الله في الجماد كما أنه في الإنسان كما أنه في السماء والأرض.. فأنت إن قلت إن الله فيك، فلست في مستوى أرقي من الحائط. فأنت ما زلت من نبات الأرض. فإذا كنت تريد أن تكون كحشائش الأرض تأكلها البهائم فافعل. وما أكلت إلا من الله وما أكلها إلا الله وما كانت إلا الله وتنزه الله عما يصفون من هذا أو من غيره. إن هذا أدب في الفهم، وأدب في الإدراك والوعي، ولكن ليس أدبا في الوصف أو أدبا في القيام. إن الله في الشيطان كما أن الله في الرحمن، لأن مراد الله في خلقه على ما هم عليه. فإذا كان هذا علما، وإذا كان هذا تعريفا، وإذا كان هذا بدءا، فهل تريد أن تكون كما هو في الشيطان؟ هل تريد أن تكون الله كما هو في الجماد؟ هل تريد أن تكون الله كما هو في النبات؟ هل تريد أن تكون الله كما هو في الحيوان؟ إنه يقول لك (كن كيف شئت فإني كيفما تكون أكون)[2].. لقد شرفك الله بهذه السحنة من معنى الإنسان، ومن صورة الإنسان، وأنت تريد أن تنحط بها إلى صورة الحيوان، وصورة الجماد، وصورة النبات، بلا ترق بها إلى معنى الإنسان. لقد شرف الإنسان بالعبودية له في إطلاقه كما شرفه بالخلافة عنه في تقييده، وإن أردت في الله إيمانا، وإن أردت في الله مسلكا، وإن أردت في الله طلبا. فما جعل الله لترقيك النوعي في ذاتك حائلا بينك وبينه فيك ترقيا في المتعالي الأعظم، وفي الكبير المتعال، وفي الحق المنزه في بعده كما هو متنزه في قربه، إذا أردت ذلك فلا باب لك، ولا عمل لك، ولا وسيلة لك، ولا طريق لك، إلا متابعة أنبياء الله على غير تفريق بينهم، والاستماع لكتب الله على غير تفريق بينها، عبد الله ينشد العبودية له.

وها هو الأمل في رسالة الله على غير تفريق في شرائعه، ولا في مناسكه، لأمم من الناس على وشك الظهور جديدا لقديم من دين الفطرة. إننا إذا كنا نشير إلى أننا غير متعصبين لملة من الملل، أو لدين من الأديان، أو لكتاب من الكتب، أو لنبي من الأنبياء، غير مفرقين بين كتبه ورسله، فليس معنى هذا أننا فارقنا كتاب محمد، أو أن معنى هذا أننا لا نؤمن ولا نتابع رسالة محمد. ولكن هذا الذي نؤمن

به، وهذا الذي نقول به، وهذا الذي نعلمه، هو حقيقة ما في كتاب محمد، وهو حقيقة ما في رسالة محمد، وهو حقيقة معنى متابعة محمد على ما أتى به.

إن محمدا لم يفرق بينه وبين رسل الله، وإن محمدا لم يفرق بين كتابه وبين ما جاء مع الأنبياء من كتب الله، وإن محمدا لم يفرق بين معارفه وبين ما جاء من المعارف عن أنبياء الله ورسل الله، وإن محمدا لم يفرق بين ما قام عنده كنبي، وما قام عند الأنبياء كأنبياء، وبين ما يقوم عند الخلق إذا اصطفاهم الحق كعباد له. إن ما أعطى محمد من معرفة، إن ما أعطي محمد من علم، إن ما أعطي محمد من حكمة، ليس بعيدا عن متابع له، أو مقتف لأثره على دينه، وعلى ما فعل، وعلى ما آمن، وعلى ما علَّم، وعلى ما بلَّغ، وعلى ما هدى...

وإن أناسا في عالمنا لا بد أن يكونوا على وجود، وهم منه على سنن، وبه على اتصال. إن هؤلاء قد تعرفهم وقد لا تعرفهم، وقد يتعددون على كثرة، وقد يتواجدون على قلة، وقد يتعدد أحدهم بهذا المعنى، أو يستقيم فيه، أو يعلو فيه شأوًا، لا يلحق به فيه. كل هذا يكون، ولكنا نعتقده دون أن ندعيه، أو نزعمه أو نتوهمه، أو نقصره على رجل عرفنا فيه شيئا من ذلك.

هذه هي تعاليم كتاب محمد، ودين محمد، وسنة محمد. الخير فيه، والخير في بيته، والخير فيمن آله، والخير في عترته، والخير في أصحابه، والخير في متابعيه، والخير في المشرقين بنور الله في قلوبهم، من نور كتابه، وهم معاني الخير في أمته إلى يوم قيامه.. لا جديد في منسك، ولا جديد في أمر من أمر الله من مناهج أو شرائع. فهذا هو تبليغ لم يعقبه تبليغ بعد حتى يبعث بمحمود المقام، ولكن الإدراك فيه، ولكن الاستنارة به، ولكن الحكمة التي وهبها الله للإنسانية بهذا الرسول، وبنور هذا الكتاب، لا ينقطع أثرها، ولا ينتهي خبرها، ولا يحاط بمرماها، ولا يجحد يسرها. فهو كتاب جامع لكتب، وصاحبه رسول جامع لرسل، علماء أمته كأنبياء بني إسرائيل، هو حق أمته وأنبياؤه في أمته علماؤها، لا ينقطع في أمته نبأ الغيب، ولا التعريف عنه، ولا الجمع عليه، ولا الاهتداء به، ولا الاتصال والقيام بنور الله في نور حقيقة رسول الله في الناس -رحمة العالمين - هذا هو دين محمد.. هذا هو ديننا.

إن الحقيقة المحمدية التي نشير إليها بألسنتنا وننحرف بها إلى معاني الوثنية في ذاته من تراب الأرض مجحودة الدوام بالتكاثر هي عماد دينه وقوام فطرته. إذا قلنا الحقيقة المحمدية فليس محمد بذاته هو الحقيقة المحمدية ولكن الحقيقة المحمدية هي ما عَرَفَ محمد عن الحقيقة فعرف عنها كما عرف، فعرفت الحقيقة على ما عرف بمحمد. فمحمد علم على ما عرف من الحقيقة، ويد لما عرف من الحقيقة، ولسان لما عرف من الحقيقة، وقدم لما عرف من الحقيقة، وطريق لما عرف من الحقيقة، ووجه لما عرف من الحقيقة، وذات لما عرف من الحقيقة. ولكنه ليس الحقيقة بذاته ومبناه، ولكنه العلم عليها

بروحه ومعناه. إن الحقيقة هي الحقيقة، لا يعرفها إلا نفسها، ولا تعرف إلا نفسها، ولا يحيط أحد بالعلم عنها إلا بما أرادت أن يحيط من إحاطته، بمعرفة نفسه، على ما أفاضت على نفسه من العلم. وهذا المعنى هو ما أراد أن يشير إليه عيسى بقوله (إنجيلي في صدري)[٣].

لقد أحطت في صدري بعلم أعلمكم منه، وإنه علم مفاض علي من الحقيقة التي أصبحت على ما أدركها علما عليها، من رآني فقد رآها، ولست إلا إياها، ولكني لست أنا بذاتي، فأنا قد أمحيت عن أنانيتي إلى ما أرادت هذه الحقيقة أن تفعل بهذه الأنانية بينكم، فتجعل مني كلمة لله تسمعوها، وكتابا منه تقرأوه. وهذا بعينه ما قاله محمد.. والذي نفس محمد بيده لست على هيأتكم إني أبيت عند ربي يطعمني ويسقيني، إنني عبده وحقه، من رآني فقد رآني حقا منه، أنا عنوانه، بي يعرف، وبه أشرف، يعرفكم عني، ويؤلف بينكم وبيني، كما أعرفكم عنه، وأفتح لكم باب الطريق إليه، وإن كنت أقربكم إليه فأنا أخوفكم منه، وأحرصكم على مرضاته. ولا أدري ما يفعل بي غدا. فإذا كان هذا هو مقال الرسول، فهل من الأدب أن يقول قائل على دينه أنا الحقيقة؟ فإذا فرض وتملكه حال وصاحب الحال ليس حجة لسالك، وترديد حاله فيه تجرؤ على مقامات سامية، دعيُّها عنها بعيد وإن كان في ساحتها، ومن غلبه لسان الحال فقد في الله لسان المقال. فلا يزعم زاعم أنه من رسول الله شيئا ما، فليس هذا من حقه، بل ومن واجب مَن يخرجه الله بمعناه، أو يخرجه رسول الله بصحبته منه على إدراك فيه يقوم ويقين به يظهر أثره، ويعرف من العلاقة به خبره، من واجبه أن يحفظ أمره، ويكتم سره.

إن الصلة برسول الله صلة تقوم كما أتصل بكم وكما تتصلون بي الآن، لا وهم، ولا حلم، ولا ظن، ولا تخمين، ولا استنتاج، ولا ادعاء، ولا مغايرة، ولا إيمان بنفس. إن هذه الصلة تقوم في الناس عند من تقوم عندهم من الناس على يقين من أمرهم فيها. فلا تزعموا مثل هذا لأنفسكم، ولا تزعموه لمثلي ولم أقله، ولم أزعمه، ولم أدعيه، ولم يحصل لي، ولو أنه كان قائما وأردت أن أخفيه تواضعا لظهر ذلك مني في تعبير. ولكني أتحدث على ما أعلم، على ما أدرك، على ما يقذف في قلبي، وفي عقلي، وفي نفسي، وفي إدراكي، وفي روعي، على ما أستنتج كما تستنتجون، وعلى ما ألاحظ وأتعلم كما تلاحظون وتتعلمون. أنا كأحدكم تماما، ولكني لا يصدر عني إلا ما يقوم في نفسي بطريق الكسب العادي كما تكسبون وكما تدركون. وهذه صفة المسلم، إن كنتم من المسلمين. قد يكون لي من المعرفة أو الإدراك ما هو دقيق، وما هو مرهف، لا بأس في ذلك، وليس هذا بمحرم علي، وليس هذا بمحرم عليكم، وليس هذا بمحرم على أي إنسان. إنه ثمرة فطرية لمن يقوم في دين الفطرة، وإن إنسانا منا لا يليق أن يتحدث بإدراك غيره. لا تنقلوا حديثا عني إطلاقا، أدركتم أم لم تدركوا، لا تتحدثوا بأني قلت، فإن حديثي يفهم عند كل منكم بفهم وبإدراك على مستوى من المستويات. ولكن قولوا بما تدركون أنتم والطريق

فياضة عليكم ما صدقتم، وإذا كنت أقول إنكم لستم مدركي، فلست أقول ذلك متعاليا أو متكبرا، ولكن هذا هو طبيعة الأشياء. إن كل كتاب يؤلفه صاحبه مرة، ويؤلفه قارئه على إدراكه في كل قراءة مرة. فإن الكتاب المؤلف بإدراك مؤلف مرة، يتألف بعدد قارئيه، ويتألف بعدد قراءتهم له. فكيف يمكنكم أن تنقلوا عني حديثا تقولون هو قال، وما نقلتم إلا فهمكم وقت سماعه، وقد تفهمون هذا الذي استمعتم إليه المرة بعد المرة، بفهم جديد وجديد وجديد؟

فلا يليق إذا أدركتم هذه التعاليم، أن تنسبوا أي حديث لأحدكم، أو لي بالذات. ولكن تحدثوا أنتم بوحي ضمائركم، وبوحي أنفسكم، حديثا منسوبا لنبع ذواتكم، لنبع عقولكم، واستعرضوا هذا الذي تتحدثون به، وتتحدثون فيه، على كتاب الله وعلى سنة رسول الله، وأن حديثا للطريق يصدر عنكم وتدركون أن له في نفوسكم وضع ومكانة، وتنسبونه لأنفسكم كأهل علم، فاعلموا أنه قد لعب الشيطان بكم، وأنكم في هذا الحديث لستم إلا أولياءه، وأنه هو المتحدث في حديث أنفسكم، بعيدا بكم عن هدي كتاب الله، وعن قيام أمر رسول الله، وعن إلهام أمر الله في دين الله.

إذا كنت معلمكم شيئا فإني معلمكم أدب العلم، وأدب الفهم، وأدب المسلك، وأدب العلاقة في الأخوة معي، والأخوة مع بعضكم البعض. ليس من الأدب في شيء أن يزعم أحدكم أنه على شيء بالنسبة لأخيه. فإذا كنت أقول لكم أنا وإياكم على باب الله نتعرض لنفحات الله، ونرجو أن يكون لنا من الله حظ من نور أو بصيرة أو بصر، فكيف يزعم أحدكم أنه على شيء من ذلك مع زعمه أنه متابعي! وإذا كان هذا الذي يتابع يقول كذلك، فكيف يقول لنفسه ما لا يقول به لنفسه المتابَع؟

إنكم إن تابعتموني فتابعوني على أدبي معكم، تابعوني على أدبي مع الله، تابعوني على أدبي مع أصحاب رسول الله. ولا تزعموا أنكم فهمتم مما أتحدث به عن صحابة رسول الله، فإني إذا جعلتهم موضع معرفة أو موضع حديث أو موضع مقارنة أو موضع فقد عن كمال منشود أو موجود من علم أو من معراج أو من حقيقة، فإنهم مصابيح كتاب الله في معارجهم، ومصابيح صفات رسول الله في سيرهم، وهم كلمات كتابه، وحروف كلماته، وخلايا ذاته، لا نحقرهم ولا نهينهم، ولكنا نكبرهم ونعظمهم، وندرك مكانتهم. ولكننا نجعل منهم موضوعا لحديث حتى يمكنكم أن تفهموا نعمة الله عليكم التي تجحدون، وحتى تدركوا أنكم في زمان تسمعون فيه حديثا مما كانوا يسمعون. إذ أن السماء تدانيكم في رسالتها من عالم الروح مداناة عصره، وأن هذه إفاضات من حقائق السماء تشرق على الأرض حتى نتعلم وندرك ونفهم ما هي هذه الإنسانية وما ماهيتها؟ وكيف يتعرض أهلها للانزلاق؟ وكيف يتعرض الإنسان من أعلى عليين للمسير إلى أسفل سافلين؟ وكيف أن الإنسان في أسفل سافلين لا

ييأس من رحمة الله تتدانى إليه، وتتساقط عليه وتأخذ بيده منه فترفعه إلى أعلى عليين.. نتعلم أن الملأ الأعلى لا سماء ولا أرض له، وأن الإنسان في حال كماله لا يمتنع على الأرض كما هو في السماء.

إنا جعلنا من أصحاب رسول الله مواضيع للمعرفة، ومواضيع للعلم، لا مواضيع للإهانة أو الهوان. وإذا كنا نتحدث عن كتاب الله بالإكبار، وإذا كنا نتحدث عن عقول الناس في فهمها لكتاب الله بالتحقير فإنا لا نحقر عباد الله ولكنا نحقر مفهوم الناس لا عقولهم التي عطلوها لأن الناس الذين يفهمون كتاب الله على أنه ورقات، وأنه رسوم من حروف، أو أنه أصوات ونبرات، فهؤلاء كتاب الله من فهمهم بريء. ودين الله من عملهم بريء. إنا نكبر كلام الله عن فهوم أمثال هذا الفريق من الناس الذين يتحدثون بكتاب الله ولم يمس قلوبهم نوره، ويجرؤون على كتاب الله ولم يحيوه. أين هم من كتاب الله وأين هي معيته لهم؟ يجب أن تتابعوني في أدب مع الله وانكسار له، وإذا كنت قد تحدثت إليكم حديثا ناقدا قويا كما أتحدث إليكم الآن، فلا يزعم بعضكم أنهم مني على مكانة تخولهم أن يمثلوا هذا فيقفون موقفي أو يتحدثون حديثي محاكين، لا منفعلين ولا من قلوبهم موجهين. كيف تصل بهم أوهامهم وهم لم يرتقوا من تراب الأرض بعد أن يجلسوا أنفسهم باسمي، فضلا عن اسم الله، أو اسم النبي مجلس الحكمة من الناس؟ لأنهم وقد رأوني في حمية من دين أو حمية من معرفة تفوهت ببعض قوارع من كلمات، فيجلسون أنفسهم بها مجلس الببغاوات! إنهم يهلكون أنفسهم بذلك مع الله، ويباعدون بينهم وبيني، وبينهم وبين رحمة الله، وبينهم وبين رسول الله، وبينهم وبين كتاب الله، وبينهم وبين الله، واهمين أنهم بذلك يقومون في دين أو يتقربون به إلى حق، وإنهم به يبتعدون عن الحق ويهدمون الدين.

الذل والانكسار.. الذل والانكسار.. إن هذا الدين قام على الذل والانكسار. إن محمدا الذي اختار أن يموت، وأن يحيا، وأن يبعث، على المسكنة ومقامها، مبتعدا عن الخلافة وهيلها وهيلمانها، كيف نزعم أننا له متابعين ونحن لا نأخذ بجوهر أمره في الدين! وإن طريق القوم التي قامت على الذل والانكسار كذلك، كيف نزعم لنا إليها انتسابا دون أن نقف منكسرين بالأبواب! ومنا من لم يعرف بعد الباب، ومنا من يجانب أو يقارف ما عرفنا من أبواب. فكيف نزعم أننا ولجنا الباب، وأننا كشفنا الحجاب، وأننا عنونا طريق الإياب؟ أين نحن من هذا كله؟

وها أنا أقول لكم صادقا أني أشفق على نفسي أن أعنون الطريق في أهل هذا العالم. أشفق على نفسي وأشفق على الطريق، وأكبر الطريق وأحقر نفسي عن أن تعنون الطريق. أين لها من الطاقة لتخرج إلى النور هؤلاء الهاوين من أصحاب العقول الغافلة المظلمة الملوثة الجاهلة البلهاء؟ إنه ليكفيني وأني لأريد وأطمع أن أعنون البلهاء على بلاهتهم، وأن أقرعهم بأحوالهم حتى يفيقوا، وأن أُبله بينهم

أبلها من أمثالهم يستعملني الله لخيرهم على ما يستعملني من رحمة أو قضاء، وعلى ما يريد هو لا على ما أريد أنا، وعلى ما يعرف هو لا على ما أعرف أنا. إن الله لم يحقق لي ذلك - إن كان محققه - بعد، ولكن هذا فهمي وهذا رجائي.

وإني لا أطمع أن أعنون طريقا بعد أن عنونته روح السماء حكيمة، مدانية، مقاربة، متحدثة، معلمة، مرشدة، قوية، فاعلة. ولكني أطمع أن أكون بين طارقي هذا الطريق المقارب المداني جنديا من جنودها مسلما يتواصى بالحق فيه وبالصبر معه، وإني لأرى رحمة الله تتساقط على الناس بما هو له أهل، ولكن الناس كما هم له أهل، في غفلة يباعدون بينهم وبين يد الله تمتد إليهم، يعطون يد الله أقفيتهم، ويعطون وجه الله ظهورهم، ولا يتقدمون بأواني ذواتهم لتدفق ماء السماء. يبتعدون بأوانيهم ومواعينهم عن ميازيب الله تتدفق بينهم وتقاربهم وتدانيهم بحقائق الله تكشف أو تقيم الحق فيهم، راغبين في أوهام أنفسهم عن أوثان من أوثان عقائدهم. يطلبون الله في موتى الناس، ولا يطلبون الله في حياة أنفسهم، قائما معلما. ولا يطلبون الله لأنفسهم وهو على أنفسهم، وفي أنفسهم مدانيا بروحه، متدفقا بنوره، مقاربا برحمته. ويزعمون مع ذلك أنهم فقهاء دين، أو أنهم على دين، أو أنهم في دين. وما هم في فقه من فقه دين. وما هم في دين وما فيهم من دين. هذا هو الحق الأبلج وعين اليقين.

نسأل الله أن يعرفنا بأنفسنا على حقيقتها، وأن يعاملنا بما هو له أهل على حقيقته، ونسأله أن لا يجعل لنا من أنفسنا بقدرته خدعة، وأن لا يحرمنا بفضله ومَنِّه وكرمه وجوده مما هو فيه من حكمة، وأن يرفع عنا من البلاء ما نعلم، وما لا نعلم، وما هو به أعلم، وأن يعافينا مما نحن له أهل إلى ما هو له أهل، وأن يدفع عنا شرور أنفسنا وشرور الأشرار من خلقه، بكرمه وجوده وعزته، وأن يرزقنا الأمن والسلام في ديننا، وأن يأخذ بيدنا، وأن ينير بصيرتنا وبصائرنا، وأن يدفع عنا، وأن يرزقنا السلم والسلام في أنفسنا، وفي ديننا، وفي بلادنا وفي أرضنا، وفي قومنا وفي إنسانيتنا، وأن يأخذ بيد جمعنا وجماعتنا إلى ما يحب ويرضي على ما يحب ويرضي ممن أحب ورضي، وأن لا يجعل لأنفسنا في أمرنا عنده دخل، وأن لا يجعل منها علينا دخل، إنه قريب سميع مجيب الدعاء.

أضواء على الطريق

(عندما بدأنا عملنا احتقرَنا الناس. ولكنا ما لبثنا أن جئنا بأكثر فأكثر منهم إلى محيط تأثيرنا الروحي. وانتقلنا من استعمال المناضد إلى استعمال الأجهزة البشرية، وهبطت قدرة الروح على هذه الآلات أكثر فأكثر، فاتسعت الدوائر الروحية وانتشرت. وجئنا على التدريج أيضا برجال العلوم والطب والفلسفة والدين من كل ناحية نشاط في عالم المادة حتى يتمكن الجميع من المساهمة في الحقائق التي

هزمت المادة الزائفة التي أصبحت منتشرة، وللسير مع الحقائق التي هدت إلى الطريق الجديد السامي لفهم الحياة، ولتشارك في الحقائق التي جعلت عصا الموت تلقف ما صنعته المادية. وفي وقت قصير جدا أصبح (مديرو المناضد) الحركة الوحيدة في العالم التي يمكنها إنقاذ الدين من التعفن.

انظروا إلى ذلك الدرس، وتأملوا فيما أنجزنا في أقل من قرن، وتصوروا ما يمكن إنجازه في الأيام المقبلة علينا. إن المهمة الخطيرة اليوم هي أننا نريد أجهزة أكثر. نريد أجهزه عندهم الثقة الكاملة في قوة الروح لترشدهم وتلهمهم. نحن نريد كل الذين لديهم هذه المعرفة أن يستخدموها حتى يمكن أن يستفيد منها الآخرون، وحتى يشع الحق ضياءه في الحياة المظلمة.

نريد تطبيق هذا الحق في الحياة اليومية حتى يتمكن كل الناس من معرفة دعاته بفضل الحياة التي يحيونها، وإدراك أنهم رسل إلهيون فعلا لما في خلقهم من استقامة واعتدال، وعندئذ نحن نطلب منهم أن يسيروا جميعا في الحياة، ويطبقوا تلك المعرفة في كل ناحية من الحياة البشرية. نريد منهم أن يقوموا أنفسهم أولا، ثم يكيفوا أنفسهم بعد ذلك لمهمة تقديم الخدمة للآخرين، لقد تم إنجاز أكثر مما يمكنكم رؤيته.. ولكن هذا لا يساوي شيئا إذا ما قورن بما سيتم عمله في الأيام التي أمامنا) ... أو أاااا

السيد الروح المرشد (سلفربرش)

مصادر التوثيق والتحقيق

١ سورة الكهف - ٥

٢ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.

٣ عبارة للسيد رافع يمكن تأمل معناها ومغزاها في السياق.